فعالية توثيق المعلومات ودورها في خدمة البحث العلمي

للأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل

إن العلم هو ثمرة البحث كما أن البحث هو شعار المعرفة في مختلف العصور

والوثائق تراث جليل خالد خدمت العلم والمعرفة والحضارة الإنسانية .

ولقد برز في الآونة الأخيرة اهتمام الباحثين والمختصين بالوثائق والحرص على حفظها وترميمها وتنظيمها واعتبارها مصادر للمعلومات وجذور المعرفة ودور ذلك في البحوث والدراسات والتعليم وشتى أنواع المعرفة الإنسانية ولقد أطلق عليها عدة مصطلحات وتسميات «كمخطوطات وسجلات وأرشيف ووثائق وتوثيق إلخ» . . ولا شك أن

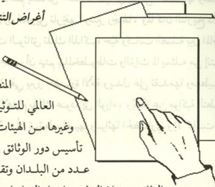

لأهمية التوثيق دوراً بارزًا في أغراض التنمية . .

ولقد بذلت جهود جادة من قبل المنظمات العالمية كالاتحاد العالمي للتوثيق ومنظمة اليونسكو وغيرها من الهيئات العلمية للعمل على تأسيس دور الوثائق ومراكزه المتخصصة في عدد من البلدان وتقديم المشورة في مجال الوثائق وميدان التوثيق وإعداد الدراسات اللازمة لذلك . .

ومع العمل على حفظ وتصنيف الوثائق والمخطوطات بأسلوب منظم وتوفيرها للمستفيدين . . وتهتم اليوم جامعاتنا ومراكز البحث بذلك .

وإن الاهتمام من الجامعات ومراكز البحوث في خدمة العلم والبحث والباحثين لدليل على التطور والوعي والرقي فتلك هي الركائز والدعامات الأولى للتطور والتنمية ، ومن مراكز البحوث دارة الملك عبد العزيز، فهي مركز بحث متخصص تستهدف دعم حركة البحث العلمي وأصالته وسلامة منهجه العلمي ، تبذل كل ما في وسعها لخدمة الباحثين على مختلف المستويات العلمية والأكاديمية وتوفر لهم المصادر والمراجع والوثائق والخرائط وكل ما من شأنه أن يعين على إجراء البحوث في كافة الميادين التي تدخل في نطاق الأغراض التي تخدمها الدارة ، وتمارس الدارة العديد من النشاطات التي تخدم أهدافها وتحقق الغرض الذي أنشئت من أجله ، ومن ذلك الاهتمام بالوثائق إذ إن الوثائق تكوّن

جانباً مهماً من تراث الأمم يستحق الحفاظ عليه في سجل حضارتها ومصدر معلوماتها والأساس الأول لتدوين تاريخها وسير رجالها ، ولما كان التاريخ ذاكرة البشرية ، فقد حفظت الوثائق تلك الذاكرة حيّة وكانت الصلة بين الماضي والحاضر . فمن الواجب أن نهتم بالمخطوطات والتراث لما يمثله من إنتاج فكري وحضاري وتاريخي يبرز حضارة الأمة ويدل على تقدمها ومعطياتها الفكرية وليس معنى الاهتمام بذلك عودة إلى الوراء ، وبُعدًا عن مواكبة التطور؛ فأي أمة من الأمم لا بد أن ترتبط بماضيها وتراثها الحضاري وإلا كانت أمة مجهولة . .

ولا شك أن مجال التراث والتوثيق مجال من الاهتمام ومن الموضوعية بحيث برز الاهتمام به رسمياً واهتم به المفكرون والباحثون في هذه البلاد وفي غيرها لدعم أسس التخطيط التنموي في مختلف المجالات لأنها تحمل الخصائص العربية الإسلامية والاهتمام بذلك يُعطي الأمة حصانة في مواجهة الغزو الفكري ضدها .

وجدير بنا أن نحفظه من الفناء ونغار عليه من الأرزاء ولقد ركزت الحركات الشعوبية التي تشوه التراث العربي والإسلامي ووضعت الكتب في تشويه آثار الأمة العربية والإسلامية قديماً وحديثاً . . وبنوا على مروياتهم أحكاماً جائرة ضد الإسلام والمسلمين والتي استهدفت العقائد والقيم الروحية ومحاربة الشرعية الإسلامية وتراثها الخالد .

ولا نريد أن نستطرد في الحديث بأكثر من ذلك مكتفين بقول الشاعر العربي :

وأجمع أقوال الرجال أسدها   معان كبار في حروف قائل

وفي العصر الحديث أصبحت الوثائق ترتبط ارتباطاً حيوياً بجميع مناشط الدولة وحقولها المتنوعة ، فهي ناحية حيوية مهمة وتحتل مكانة رفيعة ولقد قيل لا تاريخ بدون وثائق إذ هي تجسد التاريخ الفعلي للأمم وحضاراتها . .

وانطلاقاً من هذا المفهوم وفي إطار هذه الغاية يتبين دور الوثائق وأهمية التوثيق للبيانات والمعلومات الأساسية والوثائق كما هو معروف أنواع ، فهناك الوثائق الرسمية والخاصة والأدبية والإدارية والعامة والأرشيفية والسياسية والتنظيمية والعسكرية ، لدعم أسس التخطيط والبناء وللدراسات العلمية والتقنية .

ولقد شاهدنا في السنوات الأخيرة قيام بعض المؤسسات في بلادنا بإصدار بيانات موثّقة منظمة يستفيد منها الباحثون والمخططون وتبقى سنداً للمؤرخين

والدارسين لما تقدمه لهم وتمدهم به من المعلومات المفيدة . . ولعل الأجهزة التعليمية والصحية وغيرها تهتم بهذا الجانب . . فذلك مفيد في إثراء حياتنا العلمية والفكرية وسوف تكون تلك الكتب الموثقة معيناً لا ينضب للباحثين والدارسين والمؤرخين والمهتمين بهذا الجانب . . ومن البديهي القول إن الأمم تحافظ على وثائقها بكل عناية واهتمام وتعتبر تلك الوثائق كنوزاً ثمينة ؛ وذلك لأن الوثيقة هي الشاهد الأكبر على التاريخ وهي الدليل القوي على الشخصية الحضارية لأي شعب من الشعوب، والحفاظ على الوثائق حفاظ على التاريخ فإذا كانت هذه أهميتها فجدير بنا أن نهتم بها ونحرص عليها ونضعها في متناول الباحثين والمؤرخين. ولقد تفوق أسلافنا في الاهتمام بتوثيق النصوص والروايات بدأه رواة الحديث النبوي فحددوا ضوابطه ودققوا في طلب البيانات التي تثبت صحة النص أو الخبر المروي وكذا اهتم علماء اللغة والتاريخ والأدب فرددوا أشعارهم وأخبارهم بأسانيدها . .

إن مهمة الموثِّق والباحث ليست بالأمر اليسير ولكي ينهض بهذا العبء التاريخي فلا بد من إعداد كوادر قادرة على الإحاطة بعلم الوثائق وطرائقه وأشكال الخطوط وأنواعها وطريقة استخدام الفهارس للرجوع إلى المصادر والمراجع وتنظيم وتحليل الوثائق وفقاً لأحدث الأساليب والنظم المطبقة عالمياً . .

إنا لنتطلَّع إلى الاهتمام بهذا الموضوع وتوثيق البيانات والمعلومات الأساسية والدراسات وأوعية المعلومات الأخرى . .

وفي إطار تحقيق ذلك ينبغي تحقيق المعلومات و إتاحة ذلك للمستفيدين وفق اهتماماتهم وطلباتهم من مراجع وكتب ودوريات ووثائق وبيانات . . وبذلك نكون حفظنا الكثير من تراثنا وجعلناه في صورة موثَّقة منظَّمة ومفهرسة وفق أسلوب التوثيق العلمي المتعارف عليه وإعداد قواعد للبيانات الببليوغرافية والإحصائية والأدلة والكشافات وتيسيرها و إتاحة ذلك للمستفيدين وفق اهتماماتهم وطلباتهم . . وهكذا تصبح أداة نافعة فعالة لدعم عمليات التخطيط والبحث والدراسات التي تقتضيها ظروف العصر ومصلحة العمل . .

إن الوعي الوثائقي لأمر حيوي لقطاعات المجتمع حيث تقاس درجة حضارة الأمم ووعيها بأهمية حرصها واهتمامها بالوثائق ومن يتابع الحركة الوثائقية في بلادنا يُسرّ كثيراً وخاصة في هذه الفترة التي بدأ الاهتمام بهذ الجانب يبرز ويواكب النشاطات الأخرى التي تشهدها البلاد في مختلف المجالات والميادين وتطورت فيها الأساليب والنظم الإدارية بشكل كبير وجرى استخدام التقنيات الحديثة تحقيقاً لأهداف خطط التنمية الطموح ومواكبة للتقدم الكبير للمعلومات والذي أصبح من خصائص هذا العصر وأصبحت المراكز الوثائقية في أغلب دول العالم تقدم خدماتها بشكل متميِّز للباحثين والمخططين والمؤرخين ودور الثقافة والعلم والإعلام والتربية والإدارة وبذلك تطور مفهوم الوثائق وما تقدمه من دور فعال في خدمة تلك القطاعات . . وفي نطاق ذلك المفهوم نجد أنه قد تحقق الكثير من الأساسيات في هذا المجال .

ومن هنا يتبين أهمية إعداد الكوادر البشرية المتخصصة في مجال الوثائق والتوثيق للقيام بدورها ورسالتها وذلك عن طريق التدريب وافتتاح أقسام أو معاهد متخصصة في علم الوثائق وتشجيع العاملين في هذا المجال والتركيز على

دور هذا العلم والاهتمام به والتدريب المهني المستمر للعاملين في حقل الوثائق وكذلك المخطوطات ، فقد أصبحت الوثائق وحفظها وإدارتها وتصنيفها ودراستها واستخدامها علماً قائماً بذاته كمصدر من مصادر المعلومات . كما أن لها دوراً بارزاً في عملية التطور والتنمية والتقنية الحديثة وتاريخ الأمم وحضاراتها وعطائها ونشاطها الفكري والثقافي والاقتصادي .

والله الموفق والهادي إلى أقوم طريق . . .